الإيمان والإسلام
من خلال نصوص القرآن الكريم

د. عابد حسن جميل
كلية القانون، جامعة دهوك، اقليم كوردستان – العراق.
(تاريخ القبول بالنشر: 10 تشرين الثاني 2013)

الخلاصة

يهدف البحث الى معرفة الايمان والاسلام وبيان حقيقتها ومذاهب اهل الكلام في زيادة الايمان وعدمها، كما وتضمن البحث آراء العلماء حول الفرق بين الايمان والاسلام، ومن الجدير بالذكر اشار الباحث الى المراد بالاسلام وهو الاستسلام الذي لا يتم الا بالتصديق القلبي، وبذلك ينضم الاذعان الظاهري الى القلبي، وهكذا تناول الباحث اهمية الايمان والثمرات التي تترتب عليه، ومنها: تحدير النفس من سيطرة الغير واحياء روح الشجاعة والاقدام والرغبة في الاستشهاد من اجل الحق، ومن ثمرات الايمان الاعتقاد بان الله هو الرزاق وكما يقال، الرزق لايسوقه حرص حريص ولا يرده كراهة كاره، وكما ان راحة القلب والطمانينة لا تتحقق الا بالايمان الصادق الذي لا يعلو عليه شيء، كما وبين الباحث اركان الاسلام هي الصلاة والصوم والزكاة والحج، والتي تعتبر بحد ذاتها فلسفة عبادية مؤثرة في روح الانسان.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وآله وصحبه أجمعين: أما بعد فإن مما لاشك فيه أن علم الكلام من العلوم الشرعية التي تهتم بتوحيد الله والعقائد الإسلامية التي لابد منها لكي تكون عقيدة المؤمن صحيحة سليمة، وقد سمى هذا العلم بالفقه الأكبر عند الإمام أبي حنيفة، وقد ألف الإمام كتابه المسمى بالفقه الأكبر في هذا العلم لأن الفقه فيه فقه في الأصول وأما الفقه في العبادات والمعاملات وغيرها فقه في الفروع، وفقه الأصول أكبر من فقه الفروع، وبما أن الإيمان والإسلام أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، فقد تحدث علماء الكلام عن ذلك وفصلوا القول في تعريفهما والفرق بينهما، ولأهمية ذلك وقع اختياري على موضوع (الإيمان والإسلام من خلال نصوص القرن الكريم) فقد ذكرت اختلاف العلماء من الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة حول تعريف الإيمان والإسلام وزيادة الإيمان ونقصانه، وحاولت التوفيق بين تلك الآراء وذكر الرأي المستند إلى الأدلة النقلية والعقلية، وتحدثت عن حقيقة الإيمان وثمرته، ويشتمل البحث على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في أصل الإيمان ومراتبه.
المطلب الأول: تعريف الإيمان لغة واصطلاحاً.
المطلب الثاني: مراتب الإيمان.
المطلب الثالث: زيادة الإيمان ونقصانه.
المبحث الثاني: في حقيقة الإيمان وثمرته.
المطلب الأول: حقيقة الإيمان.
المطلب الثاني: أركان الإيمان.
المطلب الثالث: ثمرة الإيمان.
المبحث الثالث: في تعريف الإسلام وأركانه.
المطلب الأول: تعريف الإسلام وأركانه.
المطلب الثاني: أركان الإسلام.
المطلب الثالث: الفرق بين الإيمان والإسلام.

المبحث الأول

في أصل الإيمان ومراتبه

المطلب الأول: تعريف الإيمان لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مراتب الإيمان.

المطلب الثالث: زيادة الإيمان ونقصانه.

المطلب الأول

تعريف الإيمان لغة واصطلاحاً

تعريف الإيمان في اللغة: يأتي الإيمان في اللغة لمعان عديدة منها:

١- الأمانة التي هي ضد الخيانة ومعناها سكون القلب وقال الخليل الأمنة من الأمن والأمان إعطاء الأمنه والأمانة ضد الخيانة[١] ومنه قوله تعالى: (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا) [٢].

٢- يأتي الإيمان بمعنى التصديق[٣] ومنه قوله تعالى: (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا) [٤] أي مصدق لنا وقال بعض أهل العلم أن المؤمن في صفات الله هو أن يصدق ما وعد عبده من الثواب.

٣- الإيمان اسم مشتق من الأمن الذي هو ضد الخوف[٥] كما قال تبارك وتعالى: (فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) [٦].

تعريف الإيمان في الشرع

اختلف المتكلمون في الإيمان في الاصطلاح الشرعي على عدة آراء:

١- عرفه المحققون من الأشاعرة والماتريدية: بأنه تصديق القلب بما جاء به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقط[٧]: وإنما الإقرار شرط لإجراء الأحكام في الدنيا لما أن التصديق بالقلب أمر باطن لابد له من علامة في من صدق بقلبه ولم يقر بلسانه فهو مؤمن عند الله وإن لم يكن مؤمناً في أحكام الدنيا ومن أقر بلسانه ولم يصدق بقلبه كالمنافق فبالعكس واستدلوا بما[٨] يلي:

٢- ثبوت الإيمان قبل الأوامر والنواهي قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ) [٩] فأنه يفيد ثبوت الإيمان قبل الأمر بالصوم.

٣- استدلوا أيضاً بأن الإيمان والعمل الصالح متغايران قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)[١٠] فأن أصل العطف المغايرة.

٤- إن الله تعالى أثبت الإيمان لمن ترك بعض الأعمال المهمة قال تعالى: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) [١١] وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ)[١٢].

٥- استدلوا أيضاً بأن التصديق محله القلب قوله تعالى: (أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ)[١٣] وقوله تعالى (وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ)[١٤]، وقوله تعالى: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) [١٥] ولم يثبت أن الإيمان نُقل من التصديق إلى معنى آخر ولو ثبت لنقل تواتراً واشتهر في المعنى المنقول إليه ثم إن الكفر هو الجحود ومحله القلب الذي هو محل الإيمان فترك العمل أو النطق لا يكون كفراً على أن الإقرار ليس داخلاً في مفهوم الإيمان يدل على ذلك قوله تعالى (إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) فأن انعدام الإقرار لا يوجب سلب الإيمان، فإن قيل هو التصديق لكن أهل اللغة لا يعرفون منه إلا التصديق باللسان والنبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه كانوا يقنعون من المؤمنين بكلمة الشهادة ويحكمون بإيمانهم من غير استفسار عما في قلبه فالجواب أنه لإخفاء في أن المعتبر في التصديق عمل القلب حتى لو فرضنا عدم وضع لفظ التصديق لمعنى أو وضعه لمعنى غير التصديق القلبي لم يحكم أحد من أهل اللغة والعرف بأن التلفظ بكلمة صدقت مصدق للنبي (صلى الله عليه وسلم) ومؤمن به ولهذا صح نفي الإيمان عن بعض المقرين باللسان قال الله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) [١٦] وأما المقر باللسان وحده فلا نزاع في أنه سمي مؤمناً لغة ويجري عليه أحكام الإيمان ظاهراً وإنما النزاع في كونه مؤمناً فيما بينه وبين الله تعالى، والنبي (صلى الله عليه وسلم) ومن بعده كانوا يحكمون بإيمان من تكلم بكلمة الشهادة وكانوا يحكمون بكفر المنافق فدل على أن لا يكفي في الإيمان فعل اللسان والإجماع منعقد على إيمان من صدق بقلبه وقصد الإقرار باللسان ومنعه

منه مانع من خرس وغيره فظهر أنه ليس حقيقة الإيمان مجرد كلمة الشهادة على ما زعمت الكرامية[١٧].

القول الثاني: قالت الكرامية وبعض المرجئة الإيمان هو الإقرار باللسان دون عقد القلب وإن كان المقر كاذباً منافقاً فهو مؤمن وليتهم قالوا مؤمن حقاً عند الله تعالى حتى يثبت في حقه مشاركة المؤمن في أحكام الإسلام ومن أقوى ما يرد به عليهم إجماع الأمة على أكفار المنافقين وإن كانوا قد أظهروا الشهادة[١٨] قال الله تعالى (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) إلى قوله تعالى (وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) [١٩].

القول الثالث: الإيمان هو التصديق بما جاء به النبي (صلى الله عليه وسلم) من عند الله والإقرار باللسان[٢٠] أي تصديق النبي بالقلب في جميع ما علم بالضرورة مجيئه من عند الله أجمالاً وأنه كاف في الخروج عن عهدة الإيمان ولا تنحط درجته عن الإيمان التفصيلي فالمشرك المصدق بوجود الصانع وصناعته لا يكون مؤمناً إلاّ بحسب اللغة دون الشرع لإخلاله بالتوحيد وإليه الإشارة بقوله تعالى (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)[٢١] إلا أن التصديق ركن لا يحتمل السقوط أصلاً والإقرار قد يحتمله كما في حالة الإكراه فإن قيل قد لا يبقى التصديق كما في حالة النوم والغفلة قلنا التصديق باق في القلب والذهول إنما هو عن حصوله وهذا قول الإمام أبي حنيفة وجماعة من الأشاعرة وأختاره شمس الأئمة السرخسي وفخر الإسلام البزدوي من الحنفية واستدلوا[٢٢] على ذلك بما يلي:-

١- إن التصديق بالقلب لا ينفك عن الكفر دون أن ينضم إليه الإقرار باللسان إذا كان مقدوراً عليه لأن الله تعالى أمر بالقول فقال تعالى في كتابه العزيز (قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)[٢٣] وقال تعالى (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ)[٢٤] فأمر المؤمنين أن يقولوا (آمنا) ثم أخبر بقوله تعالى (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ) فأن ذلك القول منهم إيمان فصح أن القول إيمان.

٢- دلت السنة على مثل ما جاء به القرآن فروي أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها))[٢٥] ومعلوم أن الإيمان واجب بالعصمة وقد أخبر النبي (صلى الله علي وسلم) أن العصمة المزايلة بالكفر تثبت بالقول صح أن القول إيمان وأن الحاجة إليه كالاعتقاد.

القول الرابع: ذهب الجهم بن صفوان وأبو الحسين الصالحي أحد رؤساء القدرية إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب وهذا القول اظهر فساداً من قول الكرامية فإن لازمه أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين فأنهم عرفوا صدق موسى وهارون عليهما الصلاة و السلام ولم يؤمنوا بهما ولهذا قال موسى لفرعون (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ)[٢٦] وقال تعالى (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)[٢٧] وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبي (صلى الله عليه وسلم) كما يعرفون أبناءهم ولم يكونوا مؤمنين به بل كافرين به معادين له بل يكون إبليس عند الجهم مؤمناً كامل الإيمان فإنه لم يجهل ربه بل هو عارف به وقال تعالى (قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)[٢٨] والكفر عند الجهم هو الجهل بالرب ولا أحد أجهل منه بربه فيكون كافراً بشهادته على نفسه[٢٩] وهذا الذي ذكرته هنا من أقوال الإمام الطحاوي في كتابه والله أعلم أن الجهم لم يقل هذا عن سوء قصد بل كل ما جرى من اختلاف في بعض المسائل الكلامية أدى إلى انحياز بعض العلماء للقول بآراء شاذة وما ذلك إلا للوصول إلى الحق وبيان شرع الإسلام.

القول الخامس: ذهب جمهور المتكلمين والفقهاء والمحدثين على أن الإيمان هو تصديق بالجنان وعمل بالأركان وإقرار باللسان[٣٠] إلا إن الجمهور اختلفوا فيما بينهم في الأعمال هل أنها شرط صحة أم شرط كمال فالمختار عند أهل السنة أن الأعمال شرط كمال فمن أتى بالعمل فقد حصل الكمال ومن تركه فهو مؤمن ولكنه فوت على نفسه الكمال إذا لم

يكن مع ذلك استحلال أو عناد للشارع أو شك في مشروعيته وإلا هو كافر فيما علم من الدين بالضرورة وأما المعتزلة قالوا أن العمل شرط من الإيمان لأنهم يقولون بأنه العمل والنطق والاعتقاد فأعتبر العمل شرط صحة فمن ترك العمل فليس بمؤمن لفقد جزء من الإيمان وهو العمل ولا كافر لوجود التصديق فهو عندهم منزلة بين المنزلتين أي بين المؤمن والكافر ويخلد في النار ويعذب بأقل من عذاب الكافر(٣١).

القول السادس: ذهب الخوارج والعلاف وعبد الجبار إلى أن الإيمان هو عمل الجوارح فقط وأنهم اعتبروا الطاعات من الإيمان فرضاً أو نفلاً والبعض ذهب إلى أنه الطاعات المفترضة دون النوافل وهذا القول قريب من رأي المعتزلة إلا أن المعتزلة اعتبروا الإيمان بأنه نطق واعتقاد وعمل أي أن تارك الأعمال لا يخرج من الإيمان بل لبقاء التصديق تكون في منزلة بين منزلتين وأما الخوارج فالإيمان عندهم فعل الجوارح فقط فبذلك يخرج تاركهما من الإيمان وليس للخوارج حجة تستند إلى دليل شأنهم شأن الكرامية الذين قالوا أن الإيمان فعل اللسان فقط وأبو حنيفة اتفق مع القول الأول في التصديق وزادوا القول باللسان واستدلوا بأدلة مستندة إلى الكتاب والسنة وأما الجمهور زادوا العمل، إذاً فالإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان وهذا هو قول الجمهور الذي تطمئن إليه النفس وتقطع به باب الخلاف والله أعلم(٣٢).

المطلب الثاني

مراتب الإيمان

إن للإيمان خمس مراتب(٣٣):-

١- إيمان عن تقليد: وهو الإيمان الناشئ عن الأخذ بقول الشيخ من غير دليل.

٢- إيمان عن علم: هو الإيمان الناشئ عن معرفة العقائد بأدلتها.

٣- إيمان عن عيان: هو الإيمان الناشئ عن مراقبة القلب لله بحيث لا يغيب عنه طرفة عين.

٤- إيمان عن حق: وهو الإيمان الناشئ عن مشاهدة الله بالقلب.

٥- إيمان عن حقيقية: وهو الإيمان الناشئ عن كونه لا يشهد إلا الله.

فالتقليد للعوام والعلم لأصحاب الأدلة والعيان لأهل المراقبة ويسمى مقام المراقبة والحق للعارفين ويسمى مقام المشاهدة والحقيقة للواقفين ويسمى مقام الفناء لأنهم يفنون عن غير الله ولا يشهدون إلا إياه وأما حقيقة الحقيقة فهي للمرسلين فلا مجال لكشفها.

وبعد بيان مراتب الإيمان بشيء من التفصيل عن المقلد وآراء العلماء في الإيمان بالنسبة للعوام نبدأ بتعريف موجز للمقلد من يدين ما يدين لأنه دين آبائه وقرابته وعشيرته وأهل بلده ومشايخ قومه وليس عنده وراء ذلك حجة يأوي إليهما وإذا سئل عما يدعوه إلى اختيار ما هو فيه على خلافه ضجروا أختلط ولم يكن عنده إلا أن يقول ديني ودين آبائي وعليه وجدت الشيوخ وهو الطريق المستقيم ومن خالف هذا لم يكلم إلا السيف(٣٤) واختلف المتكلمون في إيمان المقلد: على مذهبين:-

١- الجمهور قالوا بصحة إيمان المقلد وترتب الأحكام عليه في الدنيا والآخرة لصدق التعريف بأنه تصديق النبي عليه وعدم الدليل على اشتراط أن يكون التصديق المعتبر في الإيمان مستنداً إلى الدليل وإنما هو الاعتقاد الجازم المطابق بل ربما يكتفي بالمطابقة ويجعل الظن الغالب الذي لا يخطر معه النقيض كما سبق فإن قيل نحن لا ننفي كونه إيماناً وتصديقاً لكن ندعي أنه لا ينفع بمنزلة إيمان اليائس فانعدام إيمان اليائس بخلاف إيمان المقلد فإنه تقرب إلى الله وابتغاء لمرضاته من غير إلجاء ولا قصد دفع عذاب.

٢- المعتزلة: يشترطون في كل مسألة من الأصول التمكن من إقامة الحجة ودفع الشبهة والاقتدار على مجادلة الخصوم وقالوا لأن الواجب هو العلم ولا يكون إلا بالضرورة والاستدلال ولا ضرورة.

نحن نقول لاشك في حصول التصديق للمقلد بسبب وثوقه بمن قلده وأنه استدلالي بمعنى أنه بحب النظر والاستدلال والشيخ الأشعري(٣٥) يشترط ابتناء الاعتقاد في كل مسألة من الأصول على دليل في الجملة يعني وإن لم يقدر التعبير وإلى

هذا رجع المتأخرون من المعتزلة وهذا الخلاف فيمن نزل من شاهق جبل وأما من عاش في دار الإسلام وهو مؤمن بالله ورسوله فهذا لاشك في صحة إيمانه وإن كان مقلداً[٣٦].

المطلب الثالث

زيادة الإيمان ونقصانه

إن ثمرة الاختلاف بين جماهير الأئمة وبين بعض المحققين هي أن الجمهور مع قولهم ببقاء إيمان من أضل عنده العمل فأنهم يصفون الإيمان بالنقص والزيادة فبالتقوى يزيد وبالمعاصي ينقص كما صورته عباراتهم وقال الإمام أبو عبد الله محمد الشيباني في منظومته: وإيماننا قول وفعل ونية — ويزداد بالتقوى وينقص بالردى[٣٧] إلا إن الإيمان بسبب الزيادة والنقصان ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- قسم يزيد إيمانه ولا ينقص فهم الأنبياء فهم يتدرجون في مدارج المرقى وهم معصومون من النقص ولأن الكامل يقبل الكمال ولا ينقص كما أن الإيمان بعد المشاهدة أكمل منها قبلها يدل على ذلك قول إبراهيم عليه السلام عندما أراد الإطلاع على كيفية إحياء الموتى في قوله تعالى (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)[٣٨] كأنّ إبراهيم قال قد حصلت على إيمان العارف فأريد أن أرتقي حتى أحصل على إيمان المشاهدة لذلك لم يكن قوله شكاً ولا تردداً.

٢- إيمان الملائكة: فإيمانهم لا يزيد ولا ينقص لأن إيمان الملائكة جبلي بأصل الطبيعية وما كان بأصل الطبيعة لا يتفاوت وليس في قدرتهم التفكير والنظر وتحصيل الآية[٣٩].

٣- قسم يزيد إيمانه وينقص: وهو بقية العباد من الإنس والجن والقادرون على النظر والاستدلال أو الاندفاع وراء الهوى والشيطان وقد أختلف العلماء في إيمان الأنس والجن هل يزيد وينقص أم لا على مذهبين:

القول الاول: ذهب جمهور الأشاعرة ومن وافقهم بأن الإيمان يزيد وينقص[٤٠] واستدلوا على ذلك بأدلة عقلية ونقلية: فأما الأدلة العقلية فهي أنه لو لم تتفاوت حقيقة الإيمان بالزيادة والنقص لكان إيمان أحاد الأمة بل المنهمكين على الفسق والمعاصي مساوياً لإيمان الأنبياء والملائكة واللازم هو المساواة باطل فكذا الملزوم الذي هو عدم التفاوت بالزيادة والنقصان.

الأدلة النقلية على زيادة الإيمان ونقصانه كثيرة منها:

١- إن إبراهيم الخليل عليه السلام كان نبياً رسولاً ومع ذلك طلب المزيد من الإيمان إذ وصف القرآن ذلك قوله تعالى حكاية عنه (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) [٤١] والآية دليل على أنه عليه السلام كان قبل الرؤية مؤمناً وبعدها أزداد إيماناً واطمئناناً.

٢- وردت نصوص الكتاب الكريم مشعرة بزيادة الإيمان حيث قال سبحانه وتعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) [٤٢] وقال تعالى (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) [٤٣] فزيادة الإيمان إذن بزيادة ثمرته وإشراق أنواره في القلب المعمور بمراقبة الله تعالى وخشيته والتفاني في طاعته[٤٤] أما نقصانه فبانعدام هذه الثمرة وتلك الأنوار وتراكم ظلمات المعاصي وأدران الأوزان التي تحجب القلب عن تذوق حلاوة الطاعة ومرارة المعصية وقال تعالى (بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [٤٥].

٣- قول الرسول صلى الله عليه وسلم (لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح به) [٤٦] وهذا الحديث كالآيات السابقة لا يدل على أنه ينقص فيضم إلى ذلك وكل ما يقبل الزيادة يقبل النقص فيتم الدليل وقد يقال فإيمان الأنبياء يزيد إذا قبل النقص أيضاً وأجيب بأنه خرج لوجود العصمة الدائمة المانعة من نقصه.

القول الثاني: قال جماعة منهم الإمام أبو حنيفة أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص لأنه أسم للتصديق البالغ نهاية الجزم والإذعان وهذا لا يجوز فيه ما ذكر لأن تلك النهاية لا مراتب لها وبحث فيه بأن التصديق مراتب فأن تصديق المقلد ليس كتصديق العارف بالدليل وهو ليس كتصديق المراقب وهو كتصديق المشاهد وهو ليس كتصديق المستغرق الذي لا يشاهد إلا الله وتأول هؤلاء الجماعة الآيات السابقة بأن الزيادة أنما هي في

المؤمن به لأن الصحابة آمنوا بما أنزل على النبي (صلى الله عليه وسلم) وكانت الشريعة لم تتم وكانت الأحكام تنزل شيئاً فشيئاً فكانوا يؤمنون بكل ما يتجدد وتأولوا الأحاديث السابقة بأن الزيادة والنقص يرجع كل منهما إلى الأعمال لا التصديق وبعد عرض الآراء وأدلة كل فريق فلابد من التوفيق بين المذهبين حيث يقول الإمام الرازي وإمام الحرمين ليس الخلاف بين الفريقين حقيقياً بل لفظياً ونفي الخلاف على الاطلاق لايصح ويكون الخلاف لفظياً يعني أن القول بأنه يزيد وينقص يقصد محمول على ما به كماله وهو الأعمال والقول بأنه لا يزيد ولا ينقص محمول على أصله وهو التصديق الباطني ومن العلماء من قال إن الذي يرى أن الإيمان يزيد وينقص به إيمان ما بين الفطرة وطلوع الروح والقائل بعدم الزيادة والنقصان يقصد به إيمان الفطرة الذي يموت عليه العبد وهذا لا يزيد ولا ينقص وأما زيادته ونقصانه فيما طرأ من العمر[٤٧].

ويقول الأمام الغزالي في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد حول زيادة الإيمان ونقصانه بأن الجمهور اعتبروا الأعمال من الإيمان فلذا فلا يخفى بطرق التفاوت إلى نفس العمل وهل يتطرق بسبب المواظبة على العمل تفاوت إلى نفس التصديق هذا فيه نظر وترك المداهنة في مثل هذا المقام أولى والحق أحق ما قيل فأقول إنّ المواظبة على الطاعات لها تأثير في تأكيد طمأنينة النفس إلى الاعتقاد القلبي ورسوخه في النفس وهذا أمر لا يعرفه إلا من سبر أحوال نفسه وراقبها في وقت المواظبة على الطاعة وفي وقت الفترة ولاحظ تفاوت الحال في باطنه فأنه يزداد بسبب المواظبة على العمل انساً لمعتقداته ويتأكد به طمأنينته[٤٨] وعلى الرغم من اختلاف الجمهور مع أبي حنيفة في هذه المسألة إلا أنهم اتفقوا على أن الأعمال هي التي تدخل فيها الزيادة والنقصان وكما قال الإمام الرازي أن أبا حنيفة يقصد بعدم الزيادة والنقصان في نفس التصديق وهذا هو ما ظهر لي حسب أقوال العلماء وأدلتهم والله أعلم.

المبحث الثاني

في حقيقة الإيمان وثمرته

المطلب الأول: حقيقة الإيمان.

المطلب الثاني: أركان الإيمان.

المطلب الثالث: ثمرة الإيمان.

المطلب الأول

حقيقة الإيمان

حقيقة الإيمان عند الشارع لقد تقدم معنى الإيمان في اللغة والاصطلاح وعرفنا أنه في الشرع يعني تصديق القلب مع الإذعان لما علم مجيء الرسول (صلى الله عليه وسلم) به من عند الله تعالى إجمالاً وهذا ما يجب أن يؤمن به كل مكلف ونرجو من رحمة الله أن لايلزم عامة الناس بأكثر من هذا فقد لا يتيسر استيعاب المعنى التفصيلي لكثير من الناس بالأخص في أزمنة عمت فيها الجهالة وقل الهداة وانتشرت فيها الضلالة بفعل الطغاة وأما على وجه التفصيل فقد وردت نصوص الشرع ببيان حقيقة الإيمان بأنه تصديق خاص بأمور معينة نزل الوحي بها فقد روى مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا،

قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ» ، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» (٤٩).

إذن فالإيمان التفصيلي هو التصديق بهذه الأمور الستة التي ذكرت في هذا الحديث وقد وردت آيات الكتاب العزيز مشيرة إلى ذلك قال تعالى (آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)[٥٠] وقال تعالى (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) [٥١] وقال سبحانه وتعالى (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) [٥٢] وقال تعالى (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا) [٥٣] فالإيمان بالله يمثل أكرم صلة بين الإنسان وخالقه.

إن أشرف ما في الأرض الإنسان وأشرف ما في الإنسان قلبه وأشرف ما في القلب الإيمان ومن ثم كانت الهداية إلى الإيمان أجلّ نعمة وأفضل آلاء الله على الإطلاق وليس الإيمان هو مجرد النطق باللسان واعتقاد بالجنان إنما هو عقيدة تملأ القلب وتصدر عنها آثارها ومن آثاره أن يكون الله ورسوله أحب إلى المرء من كل شيء وأن يظهر ذلك في الأقوال والأفعال والتصرفات وكما يتمثل الإيمان في الحب يتمثل في الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله والكفاح لرفع راية الحق والنضال لمنع الظلم والفساد في الأرض والعمل الصالح الذي تزكو به النفس ويطهر به القلب وتعمر به الحياة أثر من آثار الإيمان ولهذا يأتي الإيمان في الآيات القرآنية مقروناً بالعمل الصالح لأن الإيمان إذا تجرد عن العمل كان إيماناً عقيماً وكان كالشجرة التي لا تثمر ثمراً ولا تمد ظلاً[٥٤] وقال تعالى (وَالْعَصْرِ(١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ(٢) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) [٥٥] وقال تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) [٥٦] وبذلك يتحول الإيمان إلى قوة إيجابية في الحياة فيحول الضعف إلى قوة والهزيمة إلى نصر.

المطلب الثاني

أركان الإيمان

أركان الإيمان ستة هي:

١- الإيمان بالله تعالى جاء عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال (الإيمان بضع وستون او سبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق الحياء شعبة من الايمان) [٥٧] وهذه الشهادة فرض الاعتقاد بالقلب واللسان والاعتقاد والإقرار وإن كانا عملين يعملان بجارحتين مختلفتين فأن نوع العمل واحد وما مثلها إلا مثل من قال شيئاً وكتبه وتجمع ذلك في عدة أشياء:-

* إثبات الباري عز وجل ويكون ذلك بالاعتراف له بالوجود وأن قوماً ضلوا عن معرفة الله وكفروا وألحدوا وزعموا أنه لا فاعل لهذا العالم أما من أثبت للعالم إلهاً ونسب الفعل والصنع إليه فقد فارق الإلحاد والتعطيل.

* البراءة من الشرك بإثبات الوحدانية وإذا ثبت المثبت أن الله واحد وأن لا خالق سواه ولا قديم غيره فقد برأ من الشرك.

* البراءة من التشبيه بإثبات ليس بجوهر ولاعرض وأنه ليس كمثله شيء فقد برأ من التشبيه.

* البراءة من التعطيل بإثبات أنه مبدع كل سواه وهو المدبر لما أبدع ولا مدبر سواه فقد تنتفي كل تشريك للإله.

٢- الإيمان بالملائكة: إن الإيمان بالملائكة ينتظم معاني أحدها التصديق بوجودهم وإثبات أنهم عباد الله وخلقه كالأنس والجن مأمورون معافون لا يقدرون إلا على ما يقدر لهم الله تعالى والموت جائز عليهم ولكن الله جعل لهم أمداً بعيداً فلا يتوفاهم حتى يبلغوه والاعتراف بأن منهم رسلاً لله تعالى يرسلهم إلى من يشاء من البشر والاعتراف بأن منهم حملة العرش والصافون حوله وخزنة الجنة وخزنة النار ومنهم كتبة الأعمال ومنهم الذين يسوقون السحاب[٥٨] وإذا كان شأن الملائكة في عالم الروح ودورهم الإيجابي في الكون والطبيعة فمن الواجب الإيمان بوجودهم ومحاولة الاتصال بهم عن طريق تزكية النفس وتطهير القلب وعبادة الله عبادة خاشعة ولهذا

كان الإيمان بالملائكة سمو للروح ومن دلائل الصدق والتقوى[٥٩] وقال تعالى (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ) [٦٠] إن الإيمان لا يكون له حقيقة إلا إذا آمن الإنسان بهذا العالم الروحي إيماناً لا يتطرق إليه الشك ولا تسرب إليه الظنون.

٣- الإيمان بالرسل: فالمراد وجوب الإيمان بكل الأنبياء والرسل الذين سبقوا محمداً (صلى الله عليه وسلم) وقال تعالى (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) [٦١] لهذا فإن قضية الإيمان وحدة لاتتجزأ فلا فرق بين نبي ونبي أو رسول في الإيمان وإنكار نبوة واحد من الأنبياء أو الانتقاص منهم إنكار لنبوتهم جميعاً وكفر بما جاء به كل واحد منهم وإذا آمن الإنسان ببعض الرسل ولم يؤمن بالبعض الآخر فهو كافر[٦٢] وقال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا) [٦٣].

٤- الإيمان بالكتب: فالمراد بها الكتب الربانية التي أنزلها الله تعالى على رسله (عليهم السلام) وختمت بالقرآن فهي وحدة لا تتجزأ واعتقاد أنها تنزيل الله تعالى ركن من أركان الإيمان نؤمن بها على وجه الإجمال لا التفصيل ويجب الإيمان بالتوراة التي نزلت على موسى، والإنجيل الذي نزل على عيسى والزبور المنزل على داود (عليهم السلام) والإيمان بأن القرآن كلام الله تعالى وأن جميع القرآن هو الذي في مصاحف المسلمين ولم يفت منه شيء ولم يصبه نسيان ناس ولا كتمان كاتم ولم يزد فيه حرف ولم ينقص منه حرف وقال تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [٦٤] والإيمان بأن القرآن معجز وأما الإيمان بسائر الكتب مع القرآن فهو نظير الإيمان بسائر المرسلين مع الإيمان بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم)[٦٥].

٥- الإيمان باليوم الآخر: فالمراد أن يعتقد المكلف بأن الله تعالى سيحيي الخلق كلهم بعد الموت كما بدأهم إذن فهو ركن من أركان الإيمان وجزء من أجزاء العقيدة بل هو العنصر الهام الذي يلي الإيمان بالله مباشرة لأن الإيمان باليوم الاخر يحقق المعرفة بالمصير الذي ينتهي إليه هذا الوجود وعلى ضوء المعرفة بالمصدر والمصير يمكن للإنسان أن يحدد هدفه ويرسم غايته ويتخذ من الوسائل والذرائع ما يوصله إلى الهدف ويبلغ به الغاية ومتى فقد الإنسان هذه المعرفة فإن حياته سوف تبقى حياة لا هدف لها ولا غاية منها وحينئذ يفقد الإنسان سموه الروحي، وفضائله العليا، ويعيش كما تعيش الأنعام تسيرها غرائزها الطبيعية، واستعداداتها الفطرية، وهذا هو الانحطاط الروحي المدمر[٦٦] وقال تعالى (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) [٦٧] وقال تعالى (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) [٦٨] فهذا هو الإيمان باليوم الآخر.

٦- الإيمان بالقدر خيره وشره: فالمراد اعتقاد العبد أن الله تعالى قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه وتعالى وفي أمكنة معلومة وهي على حسب ما قدره الله سبحانه وتعالى ويكون الإيمان بالقدر جزءاً من عقيدة المسلم وليس فيه معنى الإخبار قال الخطابي: (قد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه العبد على ما قدره وقضاه وليس الأمر كما يتوهمون وإنما معناه الإخبار عن تقديم علم الله سبحانه بما يكون من اكتسابات العبد وصدروها عن تقدير منه تعالى وخلقه لها خيرها وشرها والقدر اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر وحكمه ذلك أن تنطلق قوى الإنسان وطاقاته لتعرف هذه السنن ولتدرك هذه القوانين وتعمل بمقتضاها في البناء والتعمير وبذلك يكون الإيمان بالقدر قوة باعثة على النشاط والعمل والإيجابية في الحياة كما أن الإيمان بالقدرة يربط الإنسان برب هذا الوجود فيرفع من نفسه إلى معالي الأمور من الإباء والشجاعة والقوة من أجل أحقاق الحق والقيام بالواجب والإيمان بالقدر يرى الانسان بأن كل شيء في الوجود انما يسير وفق حكمة عليا[٦٩] وقال تعالى (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) [٧٠].

المطلب الثالث

ثمرة الإيمان

وإذا عرف الإنسان ربه عن طريق العقل والقلب أثمرت له هذه المعرفة ثماراً يانعة وتركت في نفسه آثاراً طيبة وجهت سلوكه وجهة الخير والحق والسمو والجمال وهذه الثمار نجمل بعضها بما يلي:-

١- تحرير النفس من سيطرة الغير وقال تعالى (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [٧١].

٢- الإيمان يبعث في النفس روح الشجاعة والإقدام واحتقار الموت والرغبة في الاستشهاد من أجل الحق والإيمان يوحي بأن واهب العمر هو الله وقال تعالى (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا) [٧٢].

٣- الإيمان يقتضي الاعتقاد بأن الله هو الرازق وأن الرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره وقال تعالى (وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [٧٣].

٤- الطمأنينة أثر من آثار الإيمان أي طمأنينة القلب وسكينة النفس[٧٤] **وقال تعالى (الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)** [٧٥].

المبحث الثالث

في الإسلام وأركانه

المطلب الأول: تعريف الإسلام وأركانه.

المطلب الثاني: أركان الإسلام.

المطلب الثالث: الفرق بين الإيمان والإسلام.

المطلب الأول

تعريف الإسلام لغة واصطلاحاً

الإسلام لغة: هو مطلق الامتثال والانقياد[٧٦] وفيه قولان أحدهما هو المستسلم لأمر الله والثاني هو المخلص لله العبادة من قولهم سلم الشيء لفلان أي خلصه[٧٧].

الإسلام في الشرع: معنى الإسلام شرعاً الامتثال والانقياد لما جاء به النبي (صلى الله عليه وسلم) مما علم من الدين بالضرورة[٧٨] أي الانقياد لما جاء به الشرع كما في حديث جبريل المتقدم قال أخبرني عن الإسلام قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً (صلى الله عليه وسلم) رسول الله... الحديث بين صلى الله عليه وسلم أنه الإسلام انقياد لما جاء به الشرع الشريف حسب ما جاء في الحديث وأما الماتريدية والمحققون من الاشاعرة[٧٩] عرفوا الإسلام بأنه الإذعان الباطني لقول الله تعالى (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) [٨٠] وموضعه القلب فهو إذعان باطني.

المطلب الثاني

أركان الإسلام

١- شهادة إن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولهذه الشهادة شروط منها أنها لا تقبل ولا يثاب عليها صاحبها إلا إذا عرف صحتها وقالها عن معرفة وتصديق لها بالقلب فأما المنافق الذي يعتقد خلافها فأنه لا يكون عند الله مؤمناً ولا ناجياً من عقاب الآخرة وإنما يجري عليه في الظاهر حكم الإسلام في سقوط الجزية عنه وفي دفنه في مقابر المسلمين وفي الصلاة عليه وخلفه في الظاهر[٨١].

٢- الصلاة: في اللغة الدعاء مطلقاً وفي الشرع: أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بشرائط مخصوصة[٨٢] وقال تعالى (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) [٨٣] فالصلوات المفروضات خمس وعدد ركعاتها لمن لا يجوز له القصر سبع عشر ركعة ولمن جاز له القصر في السفر أحدى عشرة ركعة وهذه الخمس من أسقط وجوبها بعضها أو أسقط وجوبها كلها كفر[٨٤].

٣- الزكاة: الركن الثالث من أركان الإسلام الزكاة والزكاة اسم مصدر بمعنى التزكية وهي لغة: التطهير والمدح والنماء. وشرعاً إخراج جزء من المال على وجه مخصوص[٨٥] والزكاة التي أجمعوا على وجوبها عشر زكاة البقر وزكاة الغنم وزكاة الزبيب والتمر والحبوب المقتاتة التي يزرعها الآدميون وزكاة التجارة وزكاة الفطر فمن أنكر شيئاً من ذلك كفر إلا زكاة التجارة

وللاجتهاد فيها محال واختلفوا في زكاة سائر الثمار والحلي والخيل والبقول والورس والزعفران والعسل[٨٦].

٤- الصوم: لغة الإمساك[٨٧]، ومنه قوله تعالى (إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا) [٨٨].

وشرعاً: الإمساك عن المفطر جميع النهار على وجه مخصوص[٨٩] فلابد من كل مكلف عليه صوم رمضان وعليه العلم بوجوب صوم رمضان ووجوب قضائه على من أفطر فيه لعذر أو لغير عذر وعليه العلم بوجوب صوم المنذور ولابد من العلم بأن صوم رمضان يكون برؤية هلال رمضان أو استكمال ثلاثين من شعبان وأما بقية الشروط أكثرها يختص بالفقهاء.

٥- الحج: لغة مطلق القصد[٩٠].

وشرعاً: قصد الكعبة للنسك المشتمل على الوقوف بعرفة[٩١] وقال تعالى (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) [٩٢] وبعد تعريف الإيمان والإسلام وذكر الآراء التي وردت فيها وبيان أركانهما تبين لي بأن الإسلام يكمل الإيمان ومعناه لو آمن المسلم بربه ولم يطبق أركان الإسلام بما فيها الصلاة والصوم والزكاة والحج يعتبر عاصياً حتى لو اعتقد وجوب هذه الأركان لأن الإسلام يعتبر علامة من العلامات الظاهرة التي تدل على إيمان المؤمن وبها يتميز المؤمن عن الكافر وخير مثال على ذلك إن المؤمن لو لم يصل أبداً ولم يصم فكيف يكون التمييز بينه وبين غير المسلم.

المطلب الثالث

الفرق بين الإيمان والإسلام

في ختام البحث الذي تم فيه بيان الإسلام والإيمان تعريفهما وحقيقية الإيمان وثمرته وآراء العلماء في زيادة الإيمان ونقصانه فلا بد من ظهور النتيجة التي أدت إليها المناقشات والاختلافات التي دارت بين جمهور الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة ألا وهو الفرق بين الإيمان والإسلام واختلف العلماء في ذلك على ثلاثة مذاهب:

القول الأول: ذهب جمهور الأشاعرة إلى القول بالفرق بين الإيمان والإسلام وبينهما العموم والخصوص الوجهي يجتمعان فيمن صدق بلقبه وانقاد بظاهره، وينفرد الإيمان فيمن صدق بقلبه فقط انقاد بظاهره فقط، وقالوا أن القرآن أثبت إسلاماً بلا إيمان في قوله تعالى (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا) [٩٣] فهذا الإسلام الذي نفى الله عن أهله دخول الإيمان في قلوبهم هل يثابون عليه أو هو من جنس الإسلام المنافقين فيه قولان أحدهما أنه إسلام يثابون عليه ويخرجهم من الكفر والنفاق وهذا القول مروى عن الحسن وأبن سمير وإبراهيم الحنفي وأبي جعفر الباقر وهو قول كثير من أهل الحديث والسنة والحقائق وغيرهم[٩٤] إذاً فالإيمان غير الإسلام على رأي جمهور الأشاعرة ومن وافقهم.

القول الثاني: من العلماء من قال بأن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا مثل قوله تعالى (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ) [٩٥] ففي هذه الآية لفظ الفقير تعني غير المسكين وقوله تعالى (إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ) [٩٦] فالمسكين في هذه الآية تشمل الفقير أيضاً لأنه جاء منفرداً عن الفقير وقوله تعالى (وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) [٩٧] فالفقير يشمل المسكين أيضاً يعني أن الآية تقصد المساكين والفقراء معاً لأن لفظ الفقراء جاءت منفردة عن المسكين في الآية الكريمة فلا يعقل أن يقصد الباري عز وجل أحد الصنفين فقط إذا جاء أحدهما منفرداً عن الآخر مثل الآية السابقة التي أمرت بإطعام عشرة مساكين فقط الفقراء يشملهم الإطعام أيضاً والإسلام والإيمان هكذا ففي قوله تعالى (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) [٩٨] فافترق الإسلام عن الإيمان لأنهما اجتمعا ومثل الشهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله فالأول إثبات التوحيد والثاني إثبات الرسالة.

القول الثالث: ذهب جمهور الماتريدية والمحققون من الأشاعرة إلى اتحاد مفهومهما[٩٩] وقالوا إن الإيمان والإسلام مترادفان فكلاهما واحد في أمر الدين في التحقيق بالمراد وإن كانا قد يختلفان في المعنى باللسان ولو لم يكن الإيمان والإسلام بمعنى واحد لما ابت أنفس الكفرة التسمي بالإسلام ولا يأبى أحد منهم التسمي بالإيمان ولما كان المعروف من الإسلام أنه اسم للدين وليس هذا معروفاً من الإيمان ولذلك قيل دار إسلام

ودار كفر ولم يقل دار إيمان ولا تكذيب[١٠٠] إذاً ففاسد وجود أحدهما بالحقيقية والآخر ليس وجوده بالحقيقة وبذلك تتحقق وحدة الإيمان والإسلام ويستدل على ذلك بقوله تعالى (وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [١٠١] فهنا الإسلام يتناول العمل والاعتقاد معاً وقال تعالى (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [١٠٢] ولا يكون الدين في محل الرضا والقبول إلا بانضمام التصديق[١٠٣] وأما قوله تعالى (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) [١٠٤] قالوا إن الإسلام هنا كان إسلاماً لغوياً ولو كان الإسلام على حقيقته الشرعية لكان بمعنى الإيمان وقالوا أيضاً باتحاد الإيمان والإسلام لأنهم أرادوا به ترادفها لأن الإيمان هو التصديق بجميع ما جاء به النبي (صلى الله عليه وسلم) والإسلام هو الانقياد للأحكام وهو معنى التصديق فمترادفان[١٠٥] فلو قيل جاء السؤال عن الإسلام والسؤال عن الإيمان وكان الجواب عن الإسلام بالأعمال فالجواب أن ثمرات الإسلام وعلاماته ذلك، كما جاء في الحديث مع القوم الذين وفدوا على الرسول (صلى الله عليه وسلم) أتدرون ما الإيمان بالله وحده: قالوا الله ورسوله أعلم قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان.... [١٠٦] كذلك ورد في الحديث الإخبار بالعمل عن الإيمان أي الإسلام عن الإيمان قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) (الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان)[١٠٧] وبذلك أصبح الإيمان والإسلام بمعنى واحد حسب الأدلة استدل بها هذا الفريق وكيف يعقل أن المرء لو أتى بجميع شرائط الإيمان ثم لا يكون مسلماً أو يأتي بجميع شرائط الإسلام ثم لا يكون مؤمناً ثبت أنهما في الحقيقة واحد ويمكن اعتبار الخلاف بينهم لفظياً باعتبار المآل فحمل القول باتحاد مفهومهما على معنى أن كل من أتصف بأحدهما فهو متصف بالآخر شرعاً وإن تغايراً معنى وحمل القول بتغاير مفهومها على أنهما متغايران معنى وإن اتحدا محلاً فآل الآمر أنهما متغايران معنى وإفراداً باتفاق فمعنى الإيمان التصديق الباطني وأفراده تصديقات كتصديقات زيد وتصديق عمر وتصديق بكر وهكذا ومعنى الإسلام الانقياد وأفراده انقيادات كانقياد زيد وانقياد عمر وانقياد بكر وهكذا وأما محلهما فهو واحد فكل محل لأحدهما محل الآخر وبالعكس[١٠٨] وبعد ذكر الآراء التي وردت حول الفرق بين الإيمان والإسلام وأدلة كل فريق تبين أن الاختلاف حدث بين فريقين رئيسيين أحدهما قال بالاتحاد بين الإيمان والإسلام وهذا قول جمهور الماتريدية والمحققون من الأشاعرة والآخر قال بالتغاير بين مفهوم الإيمان والإسلام وهذا قول جمهور الأشاعرة وظهر لي بعد الإنهاء من عرض أدلة الطرفين أن الرأي القائل باتحاد مفهومهما هو الرأي المستند إلى الأدلة النقلية والعقلية وأما ما استند به الفريق الآخر فلا تعتبر حجة احتجوا بها.

النتائج التي توصل اليها الباحث

لقد توصلت في ختام بحثي إلى نتائج مهمة وهي:

١- اختلف المتكلمون في تعريف الإيمان وعرفوه بعدة تعاريف، إلا أن الراجح منها: الإيمان: هو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان.

٢- لقد تحدث علماء الكلام في زيادة الإيمان ونقصانه، والذي يبدو لي أن الإيمان لا يزيد باعتبار التصديق ويقبل الزيادة والنقصان باعتبار الأعمال، فكلما زاد العبد من أعماله الصالحة زاد الإيمان وبالعكس.

٣- الإسلام: هو مطلق الامتثال في اللغة وأما في الشرع: الانقياد والامتثال لما جاء به النبي (صلى الله عليه وسلم) مما علم من الدين بالضرورة.

٤- أما بالنسبة للفرق بين الإيمان والإسلام فالراجح أنهما بمعنى واحد، لأن الفقهاء ذكروا في كتبهم دار الإسلام ودار الحرب ولم يقولوا دار إيمان، فالظاهر أنه لا فرق بينهما.

ئەو ئەنجامێن ڤەکولەر گەهشتیێ

ل دوماهیکا ڤەکولینا خو گەهشتیمە ئەنجامێت گرنك وەك:

١- ئاخفتنکەر ل پێناسەکرنا بیرو باوەریێ ژێك جودا بوون وب چەندین پێناسا پێناسەکرن ویاژهەمیا پێش جافتر: بیر وباوەری پێکرنا دلی وبریاردان د زمانی وکارکرن ب ئەرکرنا.

٢- زانایێت زمانی ل دور زێدەبوونا بیر وباوەریێ وکێمبوونا وێ ئاخفتنێ نە، یابومن دیاردبیت کو بیر وباوەری زێدەنابیت ژبەر کو باوەری پێکرنی وزێدەهیێ و کێماسیێ قەبیل دکەت ل دیف کریارا، هەر چەند بەندە ژکارێت خو یێت چاك زێدە بکەت بیروباوەری زێدەدبیت وبەروڤاژی.

٣- ئیسلامەت: پێگریەکا بێ سنورە دزمانێ دا و دشەریعەتی دا پێگیری ولسەر چوون لسەر وێ چەندا پێڤەمبەر پێ هاتی سلاڤێت خودێ لسەر بن وەکو ئایین فێرکری ب پێدڤی.

٤- دەربارەی جوداهیێ دناڤبەرا بیر وباوەریێ وئیسلامەتیێ یابەرچافتر ئەوە هەردوو ب ئێك واتانە، چونکە زانایا دکتێبا خودا دیارکریە مالا ئیسلامەتیێ ومالا شەری ونەگوتیە مالا بیرو باوەریێ ویا پێش چاڤ چ جوداهی دناڤبەرا وان نینە.

Summary

Through my research I got the following results :

1- Speakers differed in their definition of faith and they defined it in different ways, however, the correct view of Faith is that : it is the ratification of heart and approval the tongue and the work with essentials.

2-Theologians have spoken in the increase and decrease of faith, and it seems to me that faith can not increase in regard to ratification but in the acceptance is in the increase and decrease of good deeds , the more a person of his good deeds the more grows of faith and vice versa.

3-Islam is the absolute compliance of language, but in Sharia it is the obedience and compliance as stated by the Prophet (peace be upon him) Thus aware of religion necessarily.

4-As for the difference between faith and Islam, the most predominant correctness is that they have one sense, because the scholars said in their books the house of Islam and the house of war and did not said the house of faith, it seems that there is no difference between them .